حكايات بطولية للأطفال (١٤)

سِرُّ جِبَالِ أوراس

جميلة بوحيرد

المؤلفة:
روضة الفرخ الهدهد

رسوم وألوان:
عبد الرؤوف شمعون

اهـــداء

الى الذين ما زالوا يؤمنون بالوحدة العربية

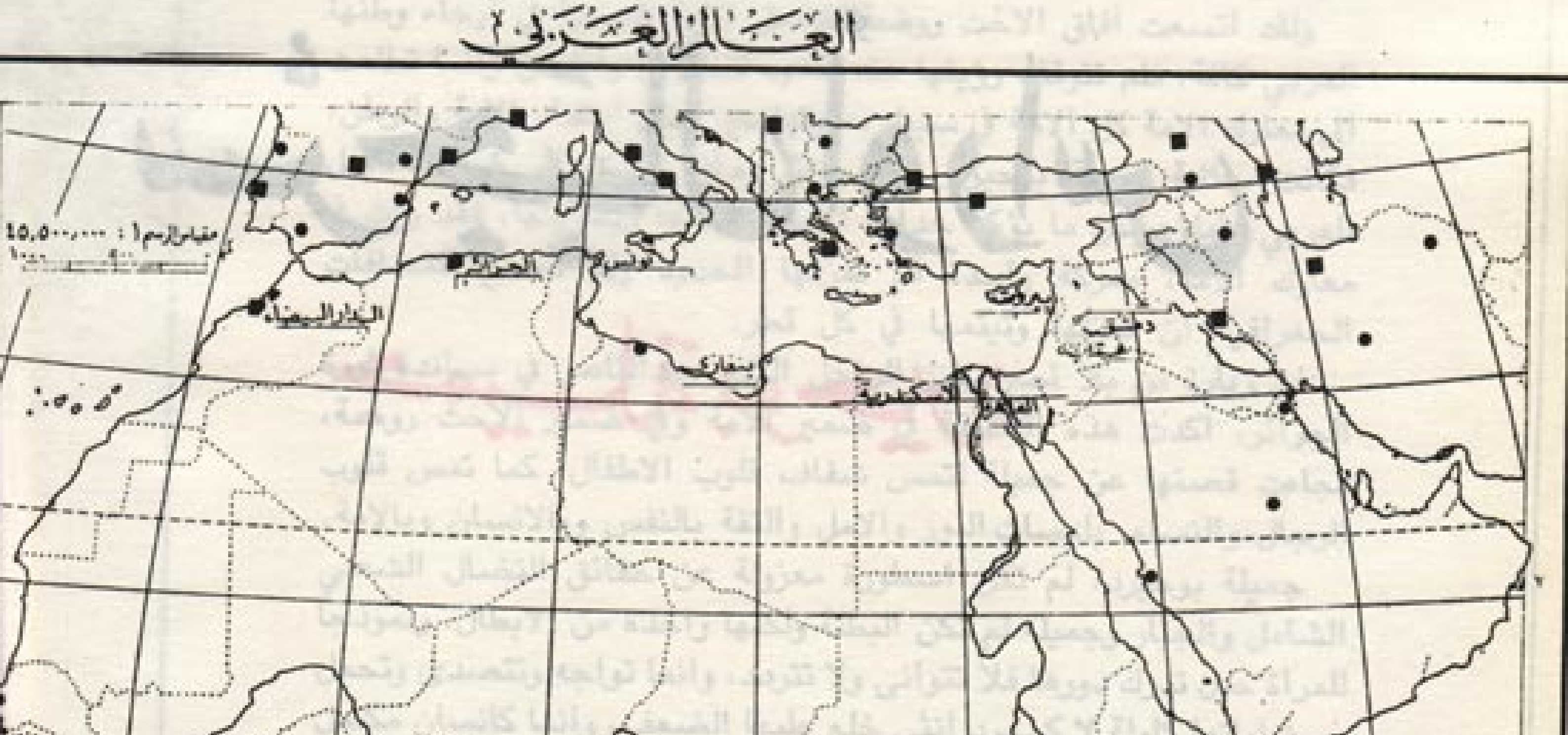

بسم الله الرحمن الرحيم

جميلة بوحيرد

نزلت جميلة بوحيرد من منزلِها متجهةً الى مدرستِها. . كانت جميلة تعيشُ في بيتِ عمِّها في «حي القصبة» في مدينةِ الجزائر. . . وقد جاءت اليهِ معَ أمها واخواتها لتعيشَ في العاصمةِ وتدرسَ في مدارسِها. . . فهي قد وُلدت في الجبالِ وتعلمت هناك القرآن الكريم وجاءت هنا لتكملَ دراستها. .

نزلت جميلة بوحيرد الى مدرستها في حي القصبةِ، كان العرب يسكنونَ هذا الحي فقط ولكن ازقتَهُ وشوارعَهُ كانت تمتلئُ دوماً بالجنودِ الفرنسيين. . وكانت جميلة تتسائل دوماً لماذا يا ترى؟ لماذا يكثرُ الجنودُ الفرنسيون في الجزائر؟ لماذا يوقفونها وعمها للتفتيش والاستجواب؟. . لماذا يقولُ الفرنسيون ان الجزائر قطعة من فرنسا؟ وهل الجزائر حقاً قطعةً من فرنسا؟ ومتى دخل الفرنسيون الجزائر؟ ولماذا احتلوها؟ ومن كان يملكها قبلَ دخولهم؟ اسئلةٌ كثيرةٌ كانت تثورُ في عقلِ جميلة كل يوم في طريق ذهابها وعودتها إلى مدرستها فتسأل عمها مصطفى عنها، او تتحدث بها مع صديقاتها في المدرسةِ. .

ولكن جميلة فوجئت ذلك النهار بحركةٍ غريبةٍ وأمرٍ غير اعتيادي في شوارعِ «القصبةِ». . فهي ما إن نزلتْ من بيتِها حتى وجدت وعلى أولِ درجةٍ في السلَّمِ ورقةً مطويةً بعنايةٍ فأخذتها، ولم تكدْ تسيرُ خطوتين حتى رأت أمامَ أبوابِ الدكاكين والمحلاتِ وأمامَ البيوتِ اوراقاً بيضاءَ مشابهةً. . كانَ أصحابُ الدكاكين يرون الأوراقَ فيمسكون بها، يقرأون عنوانها ثم يخفونها وهم ينظرون ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال حتى لا يراهم أحد. . ودخلت جميلة مدرستَها فإذا بها ترى بين يدي الطالباتِ عشرات الأوراق المماثلة. . فجأة انتشرت الاوراقُ ووصلت الى يد كلُّ بقالٍ وجزارٍ وبائعِ خضار، الى المعاملِ والمصانعِ وإلى المدارسِ والوزارات، تحملُ نفسَ الكلامِ ونفسَ العنوان. . وتعلنُ قيامَ الثورةِ الكبرى والحرب ضدَّ الوجودِ الفرنسي!!

ولم تكد جميلة تقفُ في الساحةِ تتحدَّثُ مع صديقاتها حتى سمعت صوتَ انفجارٍ قوي هزَّ المنطقة هزاً عنيفاً. ركضت جميلة الى المبنى وركضت الطالباتُ كلٌّ الى اتجاه. وتساءَلَ الجميعُ ما الأمر؟؟ وقبل أن يهدأ أو يجيبَ أحدٌ على السؤالِ، إذ باصواتِ انفجاراتٍ أُخرى تتلاحق واذ بأزيزِ الرصاصِ يملأ الفضاء.

قالت احدى الطالبات بحماس:

- اذن لقد صدَقَ البيان!..

- ايُّ بيان؟

- هذا الذي بين أيديكن.. ألم تقرأنه بعد؟

- وماذا يقول؟ لم أقرأْهُ بعد..

- يقول انَّ الثورة ضدَّ الوجود الفرنسي قد بدأت، وذلك بمهاجمةِ قواتِ الجيشِ الفرنسي في كلِّ تجمعاته، وفي آنٍ واحدٍ.. ثورة في الجبالِ والوديان، في مدنِ الجزائر ووهران وقسنطينه.. في جبالِ اوراس وصحراء الجزائر.. في آنٍ واحدٍ وتحت قيادةٍ واحدةٍ.

- وهل لدى هؤلاء الثوّارِ العددُ الكافي والاسلحةُ والذخيرةُ الكافية للوقوفِ أمامَ الجيشِ الفرنسي في كلِّ الارض الجزائريةِ؟

- اعتقدُ ذلك..

قالت الطالبةُ ذلك وانسحبت بهدوءٍ من بين الطالبات وكأنَّها تعلَمُ شيئاً تُخفيه عنهن..!!

وازدادت اصواتُ الانفجارات والرصاص.. وازداد خوف «جميلة بوحيرد» وأخذت تفكِّرُ بكلام صديقتها «جميلة بو عزه» وربطته بتكرار غياب عمها مصطفى عن البيتِ، وأحاديثِهِ وحماسِهِ لحريةِ الجزائرِ.. وربطته بمنظرِ الجنودِ الفرنسيين يملأون الطرقات، ونظرت الى البيان بين يديها واخذت تتساءل.. هل يمكنُ حقاً لهذا الشعب أن ينالَ حريَّتَهُ واستقلالَه؟ هل يمكنُ حقاً ان تصبحَ الجزائر دولةً حرَّةً؟ هل يمكنُ أن يرحَلَ الجيشُ الفرنسيُّ عن أرضِ الجزائر؟؟

دخلت الطالباتُ إلى صفوفهنَّ، ولم تكدِ المعلمةُ تدخلُ الصفَّ وتطلبُ فتحَ الكتبِ حتى هبَّت الطالبةُ اياها «جميلة بو عزه» قائلة:

- هل سنواصلُ الدراسةَ باللغةِ الفرنسيةِ؟ الا يوجد لنا لغةٌ خاصةٌ بنا؟ لماذا لا ندرُسُ بها؟ لماذا لا نقرأُ باللُّغةِ العربيَّةِ؟ ألسنا عرباً مسلمين؟ فأينَ هي لغةُ القرآنُ الكريم لغةُ آبائنا وأجدادنا؟

ونزَلَ كلامُ الطالبةِ على مسامعِ المعلمةِ نزولَ الصاعقةِ. وسكَتَ الجميعُ وكأنَّ على رؤوسهنَّ الطير. فالمعلمةُ حقاً عربيةٌ، والطالباتُ كذلك، ولكنَّ أحداً لم يجرؤ على قولِ ما تقولُه هذه الطالبة، بل ولا يجرؤ على الحديث به سرّاً وهمساً، فكيفَ بها تقولُ ذلك بكلِّ جرأة؟؟

انتهت الحصةُ، وخرجتِ المعلمة لتدخل بعد ثوان المديرةُ، تطلبُ من «الطالبةِ» اللحاقَ بها الى الادارةِ!!

﴿٢﴾

في غرفةٍ صغيرةٍ تحت الأرض، وفي ساعةٍ متأخرةٍ من الليلِ ، وبينما الظلامُ يلفُّ مدينة الجزائر وحي القصبة، التفَّ تسعةٌ من الشبابِ حولَ ضوء مصباحٍ خافتٍ، الأول منهم جاء من «جبال الاوراس» والثاني من مدينةِ «وهران» والثالثُ من قبائلِ وسطِ الجزائر، واحدٌ جاء من أعلى جبالِ الاطلس وواحدٌ

جميلة بوحيرد وطالبات المدرسة يقرأن اول بيان صادر عن جبهة التحرير الجزائري

جاءَ من الصحراءِ الكبرى. . واحد جاءَ من قسنطينه وواحد من تلمسان، وأربعةٌ من مدينةِ الجزائر العاصمةِ نفسِها.

كانَ الشبابُ التسعةُ في مقتبلِ العمرِ، لم يتجاوَز أكبرُهُم الثلاثين عاماً من عمره. . وكانَ كلُّ واحدٍ منهم يمثّلُ مجموعةً كبيرةً من ابناءِ الجزائر من أطرافها الاربعةِ، شمالها وجنوبِها، شرقها وغربِها. . . كانوا يمثلون جبالَ الجزائر ووديانها وسهولها وصحاريها، يحلُمونَ ويخططونَ لرؤيةِ بلدهم وقد تحرر. . .

هل كانوا أول أشخاصٍ في الجزائر يخططون للثورة ضد الوجود الفرنسي؟ . . هل كانوا أول شبان يعملون لتحرير الجزائر من مستعمريها؟ وأين باقي الملايين من الشعب الجزائري؟

لقد احتلت الجيوشُ الفرنسيةُ أرضَ الجزائر منذ حوالي مئة وعشرين سنة، ومكثت فيها جيلاً بعد جيل. . استولت على اخصبِ المزارعِ وسلَّمتها للفرنسيين يزرعونها كما يشاؤون استولوا على الزراعةِ والتجارةِ والصناعةِ وأصبحوا هم الاغنياء الملاك وتركوا الشعبَ العربي الجزائري يعاني الغربةَ والفقرَ على أرضِهِ الغنيةِ. . أصبح أفراد الشعب العربي فلاحين مأجورين يزرعون للمالك الفرنسي، وعمال وبائعين في مصانعهم ودكاكينهم ومحلاتهم الكبيرة. . أصبحت الأراضي الجزائرية تزرعُ العنبَ لصناعةِ الخمورِ للفرنسيين بدلَ زراعة القمحِ والشعيرِ لأبناءِ الجزائر. . وأصبحت المدارس تدرِّسُ اللغةَ الفرنسيةَ والتاريخَ الفرنسي للأطفال العرب. . ومنذ دخلت القواتُ الفرنسيةُ الجزائر وأبناءُ الجزائرِ يحاولون محاربتها والتخلص منها، ولكن جميع أعمالهم العسكرية والسياسية باءت بالفشل، فلقد كانت قوةُ الجيش الفرنسي أقوى منهم بكثير. .

في تلك الليلة، اجتمع الشبابُ التسعةُ في غرفةٍ صغيرةٍ تحت الأرض. . والتفوا حولَ المصباحِ الخافتِ يتحاورون:

قال الاول:

ـ لماذا تبقى مجموعات جبالِ الأوراس تحارب الفرنسيين وحدها؟ . . لماذا يبقى رجال وهران ومُناضلوها يواجهونَ القواتِ الفرنسية وحدهم؟ . . لماذا يثورُ رجالُ الصحراءِ اليوم ورجال مدينة الجزائر غداً؟ .

قال الثاني:

ـ نحنُ هنا اليوم لنبدأ صفحةً جديدةً في أسلوبِ نضالِ آبائنا ضدَّ الجنودِ الفرنسيين نحنُ هنا اليوم لنوحِّد كلَّ الجهات وكل الثوار في جبهةٍ واحدةٍ لها قيادةٌ موحدةٌ تضربُ في آنٍ معاً ـ في طولِ البلادِ وعرضها كلَّ ـ مصالحِ الفرنسيين. .

ووضَعَ الرجالُ التسعةُ أيديهم على المصحفِ الشريف، وتعاهدوا على تجميعِ قواهم ومناضليهم وسمّوا أنفسهم «جبهة التحرير الوطني الجزائري»

طوال الليل، والشبابُ التسعةُ يكتبونَ نصَّ البيانِ الذي سيوزعونَهُ في اليوم التالي في كلِّ مدنٍ وقرى

القادة التسعة يضعون ايديهم على المصحف الشريف ويتعاهدون على الثورة.

وجبالِ وسهولِ الجزائر.. طوال الليل والآلةُ الكاتبةُ تطرق.. وآلةُ التصوير تصور.. وقبل أن يؤذِّنَ المؤذنُ لصلاةِ الصبح، كانَ الشبابُ التسعةُ يحملونَ بيان «جبهة التحرير» اوراقاً مكدسةً ويعطونها للثوارِ لتوزيعها على كلِّ المناطقِ، بينما انطلقَ الجناحُ العسكريُّ يضربُ أهدافاً محددةً في كلِّ المدنِ والقرى الجزائرية!!*.

﴿٣﴾

بعدَ أيام وفي طريقِ عودتها إلى بيتها في «حي القصبة» شاهدت جميلة بوحيرد عشرات بل مئات الجنود على باب العمارة التي تسكنها.. استغربت الأمرَ وشعرت بالخوفِ والقلقِ.. واقتربت منَ المنزل

* تفجرت الثورة في ١/١١/١٩٥٤م

وحاولت الدخولَ فمنعها أحدُ الجنودِ بكعبِ بندقيتِهِ. . فتراجعت ووقفت عن بعدٍ تراقبُ ما يجري وتسألُ الجيران عمَّ يحصل. .

دقائق وانتهى الأمر وهرعت جميلة الى بيتها تقفزُ كلَّ ثلاث درجات من السلم قفزةً واحدةً. . ودخلت مسرعةً لتعرفَ ما الامر وأين كان الجنود. . . وكادَ الدمُ يجمدُ في عروقِها. . ماذا ترى؟ البيت وقد أصبح ساحةَ معركة؟! الاثاثُ وقد تحطم؟! الجدرانُ وقد اخترقها الرصاص؟!

وملأ الخوفُ قلبَ جميلة بوحيرد وهي تنادي على أمها فلا تجيب، وانطلقت من غرفةٍ الى اخرى ومن المطبخِ إلى الحمام، نظرت داخل الخزانةِ وأسفلِ السرير تبحثُ عن والدتها. . .

ومن زاويةٍ من زوايا غرفةِ الطعام سمعت جميلة بوحيرد صوت أنينِ والدتها يكادُ يخرُجُ من بين ضلوعها ينادي عليها. . . وأندفعت جميلة نحو الصوت. . . والدتها ترتمي وقد تراكم حولها وأمامها بل وفوقها الأثاث المكسور والتراب والزجاج. . . وبصعوبةٍ رفعت جميلة الكراسي والطاولة ووصلت من فوق الزجاج والخشب الى حيث والدتها تحملُها وتجرُّها الى أقربِ أريكةٍ أو مقعد. .

كانت جميلة بوحيرد تسمعُ الكثيرَ عن وحشيةِ الجنود الفرنسيين، وكيف يقتحمون البيوتَ لمهاجمةِ العرب واعتقال ابنائهم. . . كانت تسمعُ انهم يدخلون المساجدَ ويهاجمون المصلين، أو يدخلون المقاهي ويعتقلون الجالسين. . . كانت تسمَعُ عنهم الكثير، ولكنها لم ترَ قبلَ اليوم هجوماً حقيقياً على أحدِ هذه البيوت، ولم تشاهِدْ تعذيباً لأحد. . . فكيفَ بها اليوم وهي ترى بيتَها قد تحطَّمْ وأمَّها وقد ضُربَت حتى سالَ دمُها؟؟.

ولكن مشكلةَ الاثاثِ والضربِ لم تكن هي المشكلةُ التي واجهت جميلة أو أمها او أختها. . . المشكلة كانت في مصيرِ عمِّ جميلة. . . مصطفى الذي حضرَ الجنودُ لاعتقالِهِ، ولما لم يجدوه، تركوا له أمراً أن يراجعَ نقطة البوليس حال عودته. . .

أين كان مصطفى عم جميلة؟ ولماذا ازداد غيابُه عن منزلِهِ في الآونةِ الاخيرة؟ وماذا سيفعلُ بالأمرِ الذي تركَهُ له الجنودُ، حين عودته؟. .

﴿٤﴾

كانت «جميلة بوعزة» أعزُّ صديقات جميلة بوحيرد. . . وكانت «الجميلتان» تقضيان معظم اوقاتهما معا. . وكانتا متفقتين على كل الامور إلا أمرَ الثورةِ هذه. لقد كانت جميلة بوعزة تدافعُ عنها وعن بياناتها التي تُصدرُها بين الحينِ والاخر. . . وكانت تُظهرُ فرحها العميق ازاءَ كل اشتباكٍ عسكريٍّ بين الثوار والقوات الفرنسية. . . وتسردُ أخبارَ انتصاراتهم أو معاركهم مع المستعمرين. كانت تدافع عن الثوارِ والثورة وتتحمَّسُ لانتفاضتهم وتؤمنُ بانتصارهم. . . وقد كانت جميلة بوحيرد تعجبُ من أمرِها، وتقولُ لها:

الجنود الفرنسيون يعبثون فسادا في بيت جميلة

ـ يا صديقتي . . . مئة وعشرون سنة وفرنسا تحتل الجزائر . . مئة وعشرون سنة وهم في وزاراتنا ودوائرنا، في سهولنا ومزارعنا، بطائراتهم ودباباتهم ومدافعهم، بسجونهم ومعتقلاتهم . . هم أقوى من الثوار بالآف المرات، فكيف تعتقدين أنهم سيتركون أرضنا ويرحلون؟ مئة وعشرون سنة وهم يعلّمونا ويعلّمون ابناءهم ان الجزائر قطعة من فرنسا، فكيف سيتخلون عنها وكيفَ للجزائر ان تستقلَّ؟؟

ـ يا جميلة . . . يا صديقتي . . أنا معك انها مئة وعشرون عاماً وفرنسا تحتلُّ الجزائر ولكن، هل معنى هذا انها ستبقى للأبد؟؟ وهل يقاسُ تاريخُ الشعوب بعددِ السنين؟؟ صحيحٌ أنَّ المدة طويلة، وصحيح أنَّهم بنوا القصور والعمارات، والمزارع النموذجية، صحيحٌ انَّهم استولوا على الصناعةِ والتِّجارةِ والتعليم، ولكنَّهم لم يرتاحوا يوماً هنا . . ولن يرتاحوا أبداً . . . كانت دائماً أصابعُ جنودِهم على زنادِ بنادقهم لقتلِ

الثوارِ من العرب والمسلمين. . . ولكنَّ الثوارَ اليوم، قد اتَّحدوا جبهةً واحدةً ولن يعرفَ أيّ فرنسي، جندياً كان أو مدنياً طعمَ الراحةِ أو النوم. . ألا تعرفين؟ إنّها الثورةُ العارمةُ.

لم تشأ بوحيرد ان تتناقشَ أكثرَ مَعَ زميلتها. . . فهي في قرارةِ نفسها تتمنى للثورةِ النصر، وهي عاطفياً وتاريخياً ودينياً تؤمنُ بكلامِ صديقتِها، ولكنّها علمياً وعملياً تشكُّ في مقدرةِ الشبابِ الجزائري على التحرُّر من فرنسا أو من مجابهتها عسكرياً أو اقتصادياً، لذلك فقد تركت صديقتَها وعادت وحيدةً إلى البيتِ.

هناك وفي المنزل، فوجئت جميلة بعودةِ عمها مصطفى بعد غيابِه الطويلِ. . . فلقد غابَ أسبوعاً كاملاً لم تسمعْ منه اي خبر، فما إنْ رأته جميلة حتى أقبلَت عليه تحتضنَهُ وتقبِّله وتستفسر عن غيابِهِ وتقول له:

- لماذا تأخرتَ كثيراً يا عمي؟ لقد حصلت في غيابِك أمورٌ كثيرةٌ مزعجةٌ. . . وأنا كنتُ أريدُ أن أتحدَّثَ معكَ كثيراً عما جرى ويجري. .

وتذكرت الرسالة فقالت:

- هل قرأتَ الرسالةَ التي تركها لك الجنودُ الفرنسيون؟

- نعم قرأتُها.

- وماذا يريدونَ منك؟

- لا شــيء. .

- كيف يكون لا شيء؟ ألم تلاحظ ما فعلوا بالبيتِ بحثاً عنك؟ ألم تعرف ماذا جرى لأمي وهم يسألونَها عنك؟. . . فكيفَ لا يريدونَ منك شيئاً؟

- يريدون أن أذهبَ إلى مقر الحاكمِ العام لمقابلتِه. . .

- وهل ستذهب؟

- من ؟ أنا؟ أنا أذهبُ يا جميلة؟

في تلك الليلةِ لم تنمْ جميلة ابداً. . . لقد أخذت تربطُ الأمورَ ببعضها ففهمت دونَ شرحٍ أو تفصيلٍ، وعرفت أنّه لا بدّ أنَّ عمها يعملُ مع الثوارِ، وأن صديقتها جميلة لها علاقة بهم أيضاً. . .

ظلَّت جميلة بوحيرد مترددةً في مشاعرها تجاهَ هذه الثورةِ التي تسمَعُ عنها. . وكانَ عمها مصطفى لا يحضرُ الى البيتِ الالماماً. . . متخفياً بكلِّ الطرق. . وقد كانت تنتظرُ عودتَهُ في كلِّ مرةٍ بفارغِ الصبر كي يحدثُها أكثرَ عن الثورةِ والثوار. . ولكنَّهُ في تلك المرةِ غاب عشرين يوماً كاملاً مرةً واحدةً. . . وقد خافت

جميلة عليه وخشيت ان يكونَ قد ألمَّ به حادثُ أودى بحياتِهِ . . . ولم تكن تعرف من ستسأل عنه . . ولكنه في ذلك النهارِ دخلَ البيت مع آذان الصبح ، دخَلَ يلبسُ الروب الأبيض ، ويحمِلُ زجاجاتِ الحليب . . .

كأنَّهُ موزِّعُ الحليبِ الطازج . . . وقد استقبلته جميلة بشيءٍ من اللهفةِ والخوفِ ، ولكنَّهُ قالَ بحماس :

ـ لقد كانت معركةً رائعةً يا جميلة . . . هل تصدِّقين كم مدفعاً وبندقيةً غنمنا من الجيشِ الفرنسي؟ . . .

لقد غنمنا خمسة وعشرين مدفعاً رشاشاً وثمانيَ عشرة بندقيةً وأربعةَ أجهزةَ لا سلكي . . . بل لقد أسقطَ الثوارُ ستَّ طائراتٍ عموديةً ـ هيلوكبتر ـ وأحرقوا سبعَ سياراتِ نقلٍ عسكريةً . . .

قالت جميلة بدهشة :

ـ أين وكيف ومتى تم ذلك؟

ـ في معركةٍ كبيرةٍ واحدةٍ في منطقةٍ جبليةٍ قربَ مكان ولادتك في الجبال ، حيثُ يسكنُ افرادُ عائلتنا هناك . . . ولمعرفتي بالمنطقةِ جيداً ولخفَّةِ حركةِ الثوَّارِ فلقد أقمنا كميناً كبيراً لقوات فرنسية كبيرةٍ علمنا بتحرُّكِها في المنطقةِ ، ولم يطلْ انتظارُنا فقد أخذنا نسمعُ هديرَ محركاتِ المركباتِ العاديةِ مقتربةً من الموقع الذي اخترناه لصيدها . . وأخذت الاوديةُ الصامتةُ والمقفرةُ ، والجبالُ العاليةُ الشاهقةُ تردِّدُ أصداءَ تحرُّكِ المجموعةِ الفرنسيةِ . . . وسَمِعَ المجاهدون كلمة السر ، التي انطلقت قبلَ الفجر : سمعوا صوتَ نداء الآذان الله أكبر ، الله أكبر . . . فمسَّ شِغَافَ قلوبهم واستنفرت مشاعرهم وحماستهم ، ففتحوا النيرانَ مرةً واحدةً من كلِّ جانب وتكدست جثث الاعداء وارْتمى جرحاهم . . . واستولى الثوارُ على كلِّ الاسلحةَ وحملوها الى المناطقَ النائيةِ والمغاراتِ الخفيةِ . . . ثم عادَ الجميعُ إلى مراكزهم ينتظرون القواتِ الفرنسيةِ المساعدةِ . . .

ـ وهل حضرت؟؟ .

ـ تماماً كما توقعنا . . . أرسلوا الطائراتِ والتعزيزاتِ والجنودَ المظليين . . .

ـ جنود مظليون؟

ـ نعم . . . المظليون الذين يضعون القبعات الحمر والذينَ يحضرون لاقتحام المصاعب . . . والقضاءِ التام على الثوار . . . ولمَّا أحسَّ الثوارُ بذلك ، غيرّوا خططهم واُستعدوا للإنسحابِ بأقلِّ الخسائرِ . . . فلما اقبلَ الليلُ انسحبْنا وعدنا إلى بيوتنا وأعمالنا إلى ان تهدأ الامور . .

في تلك الليلةِ ايضاً لم تنم جميلة وهي تفكر بالثوار والمعركة . . . وعمها . . . الحبيب . وفي تلك الليلةِ أيضاً سمعت ولأولِ مرةٍ من المذياع أخباراً عن القواتِ المظليةِ التي اشتركت بالمعركة . . . وسمعت عن

تهديداتهم المباشرة لكل الثوار أينما كانوا، فوضعت يدَها على قلبِها، تتحسسُ عمهًا مصطفى فيه حتى نامت...

احدى المعارك بين الثوار الجزائريين وقوات فرنسا

(٦)

دخلَتْ جميلة بوحيرد مدرستها وقد استبدتْ بها الدهشةُ والاستغراب... وجدتِ الطالباتِ وقد وقفن جميعاً في الساحةِ لا يتحرُكن ولا يدخلن صفوفهن... وهن يحملنَ اوراقاً كالتي كانت في أيديهن من قبل.. وقبل ان تسأل عن الأمرِ أقبلت صديقتُها «جميلة بوعزة» تعطيها ورقةً مماثلةً لقراءتِها: «الاضراب التاريخي في ايار (مايو) ١٩٥٦... النداء الصادر عن الطلبة الجزائريين بعاصمة الجزائر... ايها الطلبة الجزائريون: بعد اغتيال اخينا «بلقاسم زرو» وبعد مصرع اخينا الدكتور بن زيرجب، وبعد فاجعة الأخ الطالب «ابراهيمي» الذي احرقته القوات الفرنسية بالنار حيا عندما احرقت قريته وبعد اغتيال كاتبنا «راحنا حوجو» وبعد التعذيب الذي لقيه اخواتنا... وبعد.. وبعد... إن التحصيل على شهادة زائدة قد يجعل منا جثة حقيقية فلأي شيء تصلح الشهادات التي تمنح لنا في وقت يكافح شعبنا كفاحاً بطولياً... في وقت يسقط فيه أطفالنا وشيوخنا تحت رصاص الرشاشات وقنابل النابالم... ان واجبنا ينادينا إلى التضحية إلى جانب الذين يكافحون ويستشهدون احراراً. اننا نقرر الاضراب العام وبصفة عاجلة... ونقرر مقاطعة الدروس والامتحانات... يجب مبارحة مقاعد الدراسة للالتحاق بصفوف جيش التحرير الجزائري»..

طوت جميلة بوحيرد البيانَ برفقٍ وهدوءٍ وهي تنظرُ يميناً ويساراً... تنظرُ الى الطالباتِ من جهةٍ، والى غرفةِ المعلماتِ والمديرةِ من جهةٍ اخرى... ما الذي سيجري اليوم؟ هل ستتوقفُ الدراسةُ حقاً في كلِّ جامعات ومعاهدِ ومدارسِ الجزائر؟ وهل سينضمُّ الطلبةُ إلى الثوارِ؟ وماذا ستفعلُ صديقتُها جميلة بوعزة؟ وماذا ستفعل هي يا ترى؟؟

وأمسكت بوحيرد يدَ صديقَتها بوعزه تسألها:

- قـرأت؟.

- نعـم..

- وهل ستتوقفين عن الدراسة كما يقولون؟.

- نعم وكلُّ طالب عربي في الجزائر سيتوقف..

- وهل ستنضمين للثورةِ؟.

- لا ادري...

وانسحبت جميلة بوعزة وظلت جميلة بوحيرد تفكر.. وبينما هي كذلك اذ بأصواتِ انفجاراتٍ عنيفة تهزُّ المدينةَ وتهزُّ حي «القصبة» بالذات...

وركضت جميلة وكلُّ الفتياتِ خارجَ أسوارِ المدرسةِ إلى بيوتهن... ووصلت جميلة بوحيرد إلى بيتها لترى آثار الدماءِ تملأ الدرجَ إلى مدخلِ الدارِ..

دمُ منْ هذا يا ترى؟

صعدت الدرجاتِ بسرعةٍ. . وأطلّت مِنَ البابِ تُنادي على والديها. . . ولم يطلْ بها الأمر، فقد اكتشفت أنَّ عمها مصطفى مصابٌ بجراحٍ مختلفةٍ في أنحاءِ جسدِهِ، فسألت والدتهـا:

ـ ما الأمـر؟.

ـ لا شيء. .

ـ كيفَ يكونُ لا شيء والدماءُ تملأ الدرجَ؟

ـ تملأ الدرج؟. . اذهبي يا جميلة بسرعةٍ وامسحي آثارَ الدماءِ حتى لا يحضرَ الفرنسيون إلينا. .

ولم تكدِ الوالدةُ تُكملُ جملتَها حتى دقَّ البابَ دقاً عنيفاً، ثم افتتِحَ عنوةً، ودخَلَ عشراتُ الجنودِ الفرنسيون دفعةً واحدةً غرفة جميلة. . انهم من «القوات المظلية»!! أطلقوا الرصاصَ في كلِّ اتجاه وضربوا جميلة وأمهَّا وألقوهما أرضاً، ثم جرُّوا العم مصطفى وهم يضربونَهُ في كلِّ ناحيةٍ من انحاءِ جسدِهِ، وخرجوا به يدفعونَه ويجرُّونَه إلى سياراتهم!!. .

مرّت أيام وجميلة تقومُ على تمريضِ أُمِّها. . كان غيابُ العم مصطفى مصدرَ المٍ وحزنٍ وخوفٍ عندَ كلِّ افراد العائلةِ. . . وكانت الدراسةُ معطلةً في المدارسِ لإضرابِ الطلبةِ عن الذهابِ إليها، فمكثت جميلة في بيتِها تنتظرُ عودةَ عمها. .

بعد أيامٍ عادَ عمُّها. . . رموهُ في مدخلِ الدار. . كانَ أصفرَ اللون ممداً لا يتحركُ. اقتربَ منهُ أحدُ أصحابِ الدكاكين ففزِعَ منه. . . ونادى على جارٍ آخر. . فاقترب منهُ وكبرَّ الله أكبر. . الله أكبر. . وأقبلت جميلة فاقتربت منه تحسُّ صدرَهُ، وضعت يدَها على قلبِهِ رفعت يدَهُ، فأُرتمت. . نادتْه، فلم يردَّ عليها، هزَّته فلم يتحرَّك. . صرخت. . نادت. . بكت. . مات. . مات. . قتلوه. . أزهقوا روحه. .

أيامٌ وجميلة لا تتحرك. . جاءَ كلُّ الجيران وقاموا باللازم. . وجاءَ الاقاربُ من جبال الاوراس وقدموا الواجب. . وجميلة في الفراشِ لا تتحرك. . ولا تنطِقُ بحرف واحد. . لعلها فقدت النطق، او لعل الصراخ قد قطع حبالها الصوتية!!

اقتربت منها صديقتُها جميلة بوعزة تقول:

ـ لا ارى سبباً لمكوثِكِ في الفراشِ وسكوتِكِ غير الطبيعيِّ هذا. . عمُّكِ كانَ من الثوارِ وقد أُستشهد، وأنتِ يجب أنْ تقابلي استشهادَه بغيرِ هذا التصرف.

ـ بل لقد قتله الفرنسيون. . قتلوه بالضربِ والتعذيبِ.

ـ بل استشهدَ على أيديهم. . . عمُّكِ قامَ بعملية فدائيةٍ كبيرةٍ وعادَ مصاباً، فلما عِلمَ الفرنسيون، اعتقلوه واستجوبوه فلما رفض الحديث. .

ـ قتلـــوه.

- أستشهدَ، وللشهيدِ الجنةُ الخالدةُ.
- ولكنني أحبُّ عمي كلَّ الحب. . فلماذا لم يطلب مني يوماً ان أشتركَ في الثورةِ أو أُوزّعَ أحدَ بياناتها أو أُخبئ اسلحتها. ؟ إنني ايضاً أُحبُّ الجزائرَ، أرضها وسماءها فلماذا لم يطلب مني مساعدتَهُ في الثورة؟.
- الطلبُ يأتي من الانسانِ نفسِهِ. . . لا يستطيعُ أحدٌ ان يفرضَ عليكِ الانضمامَ للثورةِ يجب أنْ تنبعَ الرغبةُ من داخلِ المرءِ. .

- وهل انضممتِ أنتِ إلى الثوارِ فعلاً؟. إنني اشكُّ بأمركِ منذُ مدةٍ ولكنني أودُّ معرفةَ حقيقةِ الأمر. . هل انضممت أيضاً الى جبهةِ التحرير؟
- ما هذا السؤالُ الساذجُ يا جميلة؟ قولي ما تريدين مباشرة.
- أريدُ أن أُكملَ المشوارَ الذي بدأهُ عمي. . أُريدُ أنْ اكونَ مع الثوّارِ عوضاً عنه. . وأنْ أُواصِلَ مسيرتَهُ، أنْ أثأرَ لروحهِ ولروحِ الثوار. . . يجبُ أن يخرُجَ هؤلاءِ المحتلون من أرضنا. . فكيف السبيلُ الى ذلك؟؟

وعلا صوتُ جميلة، أخذَها الحماسُ، فاندفعَ أهلُها وجيرانُها إلى غرفتِها إذ اطمأنوا إلى عودةِ صوتِها وقدرتِها على النطقِ. . فلمّا دخلوا الغرفةَ، قامت جميلة بوعزة وشدَّتْ على يدِ صديقتِها ثم استودعتهم قائلة:
- إلى اللقاء.

﴿٧﴾

على الهاتف قالت جميلة بو عزه:
- تنورةٌ سوداءُ وقميص أبيض!. . ونظارةُ شمسٍ سوداءُ كبيرةُ والساعةُ السادسةُ مساءً. . وفي منتزهِ المدينةِ العام. .
- ومن أنتظر؟!.
- لا داعي للأسماء. . في السادسةِ وخمسِ دقائق يأتي ويعرِّفُكِ بنفسِهِ. .

كيف يكونُ انضمامي للثوار؟؟ ومن هذا الذي سأقابلُهُ غداً؟ كيفَ سيكونُ شكلُهُ وعن ماذا سيحدثُني؟. هل سيعطيني هويةً؟ رقم؟ هل سيدربني على إطلاقِ الرصاص ورمي القنابل؟. أم سيكونُ الامرُ شفهياً للمراقبةِ وجمعِ المعلومات وتوزيع البيانات؟!

الافُ الاسئلةِ كانت تجول في رأسِ جميلة بوحيرد وتمنعُ عنها النوم، فلقد حدَّدت لها صديقتها جميلة بو عزّة موعدَ مقابلتِها مع «أحد المسؤولين» في جبهةِ التحرير للأنضمام اليها. . وفتحتْ جميلة خزانةَ ملابِسها لتتأكدَ من توفُّرِ اللونِ الأبيضِ والاسودِ للقميص وللتنورةِ، ومن توفُّرِ النظارةِ الشمسيةِ. . وضعتهم على السريرِ بعنايةٍ. . . ثم اتجهت لمكتبة عمها وأُنتقتِ الكتُبَ المناسبةَ عن تاريخِ الجزائر

وجغرافيتِها. . وماضيها وحاضرِها، كانت تريدُ وفي يومٍ واحدٍ معرفةَ كلِّ شيءٍ عن وطنِها لتعرِفَ كيف تدافِعُ عنه وكيف تُضحّي لأجلِهِ.

واقتَربَتِ الساعةُ من السادسةِ. . ولم تستطعْ جميلة بوحيرد تناوُلَ غدائِها أو حتى فنجان الشاي المعتاد. . كان قلقُها يُسيطرُ على أعصابِها. . قالت انها ستنزِلُ الى السوقِ وانطلقت إلى هدفِها. .

جلستْ في المنتزهِ، طلبت فنجانَ شاي تُشغِلُ نفسَها به! وأخذت تنظُرُ إلى ساعتِها، كانتْ قدْ وصلت قبلَ السادسةِ بعشر دقائق. وما إنْ دقت الساعةُ السادسةَ حتى دقَّ قلبُها بعنف. . وتحرَّكت الثواني ببطءٍ، وفي السادسةِ وخمسُ دقائق بالضَّبطِ كانَ يقِفُ أمامَها ويسألُها:

ـ جميلة بوحيرد؟!

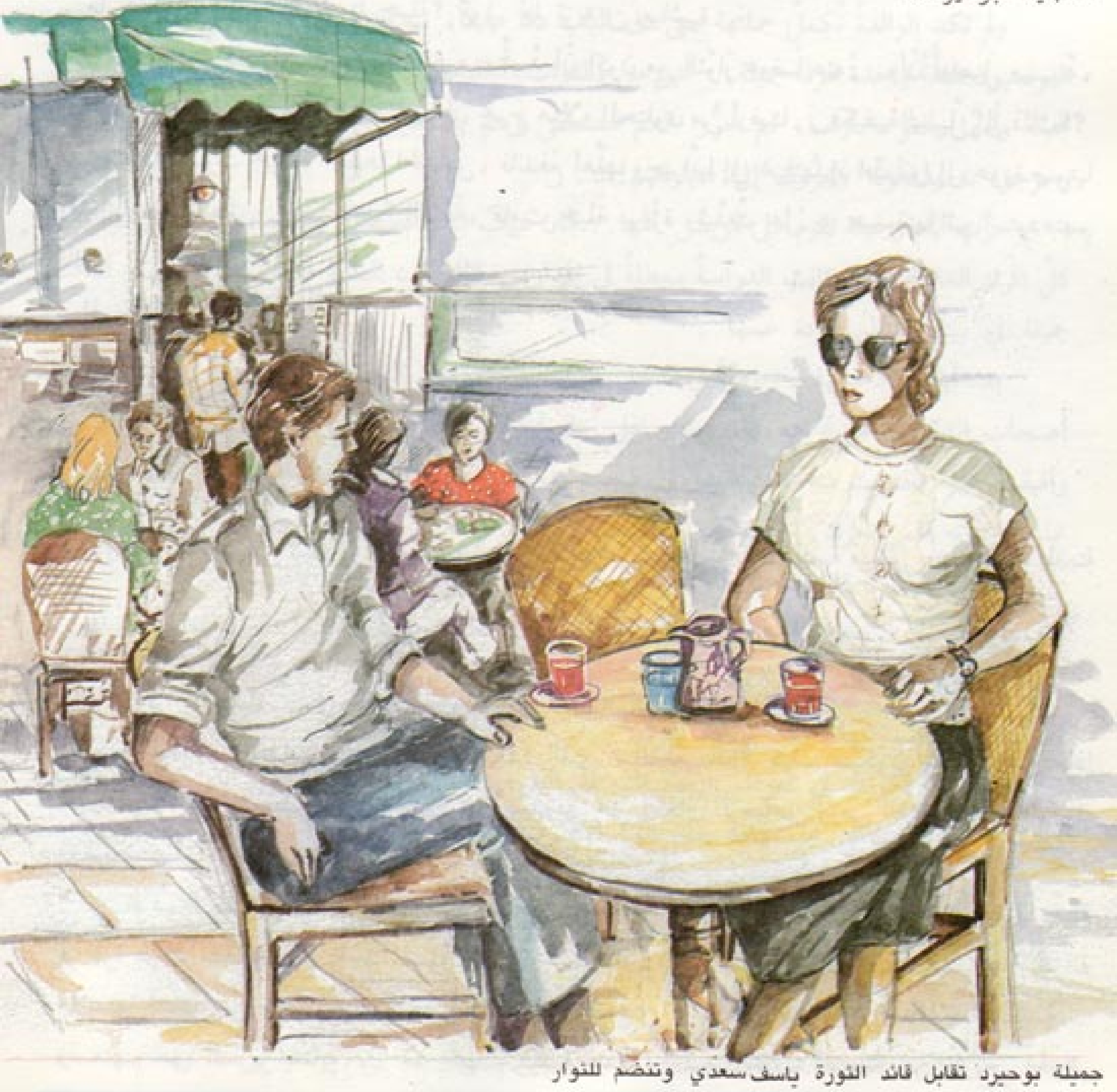

جميلة بوحيرد تقابل قائد الثورة ياسف سعدي وتنضم للثوار

- نعـــم. .

وسحبَ الكرسي وجلسَ، وطلَبَ فنجاناً من الشاي. .

وكانَ حديثاً مقتضباً. .

- عمُّكِ كانَ من رفاقنا الاحرار المخلصين يا جميلة. . وأنت تريدينَ مواصلةَ مسيرته. . . الثورةُ تعني السريةَ المطلقة، والعملَ الدؤوب. . الثورةُ تعني العزيمةَ الجبارةَ والاخلاصَ المطلق. . الجزائرُ ستتحرَّر برغمِ كلِّ جنودِ فرنسا. . الجزائرُ لنا ولأبنائِنا الاحرار. . نحنُ الشبابُ سنحقِّقُ النصر. . بالصبرِ والعملِ. . فهل تُقسمينَ على العملِ معنا بسريةٍ وإخلاصٍ؟

- نعم، أُقسم. .

- حتى النصر أو الشهادة؟!

- نعـــم أقسم.

كان «ياسف سعدي» يتحدَّثُ بكلِّ هدوءٍ ورزانةٍ. . كانَ قائدَ الثوارِ في مدينةِ الجزائر، وكان يثِقُ بمصطفى عم جميلة كلَّ الثقةِ. . فأودعَ ثقتَهُ بجميلة وعينَّها امينةَ السرِّ في مقرِّ القيادةِ العام. . تحمِلُ الرسائلَ والأوامر والتعليماتِ من القائدِ إلى الثوار. .

﴿٨﴾

لما كانت الثورةُ تحتاجُ إلى الرجالِ وإلى النساءِ، ولما كانت الصديقتان جميلة بوعزّه وجميلة بوحيرد في ربيعِ العمرِ، في العشرينَ من عمريهما، ولما كانتا تُتقنانِ اللغةَ الفرنسيةَ، فلقد وقَعَ الاختيارُ عليهما لتقوما بأعمالٍ لا يستطيعُ الرجالُ القيامَ بها. . في ذلك اليوم لبست كلٌّ منهما أجمل ملابسهما، وتزينتا بأحلى زينةٍ وانطلقتا من منزليهما إلى هدفهما المرسوم مقهى «ميلك بار» في مدينةِ الجزائر ذلك المقهى الذي لا يدخلُهُ الا الضباط الفرنسيون ورفيقاتهم!!

في ذلك النهار ارتدت جميلة أجمَلَ الملابس، وضعتِ العقدَ وزينتْ شفتيها بالحمرةِ، وضعتِ العطرَ على رقبتِها ويديها ووضعت وردةً كبيرةً حمراءَ على صدرِها، وانطلقت تقابلُ صديقتها جميلة إلى هدفهما. .

دخلتا المقهى. . جلستا على اول طاولة. . . طلبتا القهوة «الكابوتشينو» واخذتا تتحدثانِ باللغةِ الفرنسية. . كانَ أحدُ الشبان يجلسُ على البار فأخذَ يركِّزُ نظرَهُ عليهما. .

- هل تظنين أنَّهُ يشكُّ في أمرنا؟.

- بل هو معجب بجمالنا. . أنظري وابتسمي. .

وابتسمت الفتاتان، وابتسم الرجل. . وقامَ وجلس معهما. . .

لو كانَ يدري ماذا تَحملُ هاتان الفتاتان ما ابتسمَ لهما إطلاقاً. . ولَمّا جلس معهما على نفسِ الطاولةِ. . وفي نفس المقهى. .

ما كادتِ الفتاتانِ تغادرانِ المقهى حتى انفجر المقهى بما فيه. . تناثرتْ قطعُ الأثاثِ، الطاولاتُ، الكراسي زجاجاتُ الوسكي والبيرة وعشراتُ الجنودِ الذين كانوا يحتسون المشروبَ في المقهى. .

انطلقتِ الفتاتان إلى بيتهما. . غسلتْ كل منهما وجههَا عشراتِ المرات ثم جلستا تكتبان تقريرهما عن الحادثِ. . فتحتْ كلٌّ منهما المذياعَ فسمعتا عن «انفجارٍ في مقهى : الميلك بار» وخسائر في الارواحِ والممتلكاتِ.

الجميلتان جميلة بوحيرد وجميله بوعزه في مقهى «الميلك بار» لوضع المتفجرات..

وكتَب الشاعر[1]:
الاسمُ جميلة بوحيرد
اسمٌ مكتوبٌ باللهبِ
مغموسٌ في جُرحِ السحبِ
في أدب بلادي في أدبي
العمرُ اثنان وعشرون
امرأةٌ من قسنطينةْ
لم تعرفْ شفتاها الزينةْ
لم تدخلْ غرفتَها الاحلامْ
لم تلعبْ ابداً كالاطفالْ
لم تُغرمْ في عقدٍ أو شالْ»

﴿٩﴾

في مخبئِهِ في أحدِ البيوتِ القديمةِ في حي القصبة في الجزائر، كان القائدُ «ياسف سعدي» يجلسُ وأمامَهُ خريطةٌ كبيرةٌ لمدينةِ الجزائر، وضعَ القائدُ علامةً حمراءَ حولَ ثلاثةِ مَقاهٍ في المدينةِ: ميلك بار، الكافتيريا، كوك هاردي ثم قال:

ـ لم أكنْ أشكُّ في لحظةٍ ما ومنذُ معرفتي بكِ، بجرأتَكِ وشجاعَتَكِ يا جميلة.. لقد قمتِ بأعمالٍ ومهماتٍ سيفخرُ بها ابناءُ وطنك وسيسجّلُها لك في سجلِّ الشرفِ طولَ العمر...

ـ شكراً يا أخي.. لم أقمْ إلاّ بواجبي..

ـ حسناً يا جميلة.. أرجو منكِ نقل هذهِ الرسالةِ وهذا الكيسِ إلى الزعيم «علي لا بوانت» في مقرِّ إقامته رقم ـ٢ـ فهو هناك الآن.. ارجو الانتباه الى هذا الكيس لأنَّهُ يحتوي على متفجرات، يرجى أخذُ الحيطةِ والحذرِ..

انطلقت جميلة إلى مقرِّ على لابوانت الثاني، فقادةُ الثورةِ كانوا يغيرون أماكنَ تواجدهم واقاماتهم حتى لا ينكشف مقرهم للاعداءِ.. وجميلة كانت تعلمُ الكثيرَ من أسرار القادةِ..

﴿١٠﴾

كانَ الحصولُ على السلاحِ هو أصعبَ عملٍ من أعمالِ الثورةِ، وللحصول عليه كانَ على الثوارِ أنْ يُسافروا خارجَ الجزائر لشراءِ الأسلحةِ ونقلها بسريةٍ تامةٍ إلى الجزائر، كانت كلُّ قطعةِ سلاحٍ تُساوي

---

[1] الشاعر نزار قباني

وزنها ذهباً: صعوبةٌ في الحصولِ عليها، صعوبةٌ في شرائها، صعوبةٌ في نقلها، وصعوبةٌ في تخبئتها، والسلاح ضرورة لا غنى عنه اطلاقا في مسيرةِ الثورةِ.

نزلَ احدُ القادةِ الجزائريين التسعة من السفينةِ الى ميناءِ الاسكندرية في مصر، سافرَ آلافُ الأميالِ منْ مدينةِ الجزائر متجها الى الشرق مخترقاً البحرَ الأبيض المتوسط وصولا الى ميناءِ الاسكندريةِ في مصر.

نزلَ القائد «احمد بن بللاّ» من السفينة يلبسُ بنطالاً وقميصاً رثُّ المنظرِ، وينتعل (بابوجاً) رخيص الثمن «زنوبه»، كانت لحيتهُ قد نمتْ بضعَ مليمتراتٍ مما جعلَ منظره يشبهُ منظرَ عمالِ التحميلِ في السفن..

اتجه الرجلُ رأساً الى محطةِ القطار ليستقلَّ القطارَ المتجهَ الى القاهرةِ عاصمةِ مصر.. وصلها في ساعةٍ متأخرةٍ منَ الليل فنامَ على الرصيفِ ينتظرُ بزوغَ الشمسِ فهو لن يعرفَ النومَ قبلَ ان يصلَ الى الهدف.

ما هو هدفه؟ وماذا يريد من مصر؟؟

كان «احمدَ بن بللا» أحد القادةِ التسعة يريد مقابلة «جمال عبدِ الناصر» رئيسَ جمهوريةِ مصر العربية، كانَ يريدُ انْ يعرضَ أمامه ثورةَ بلادهِ ليأخذَ منهُ الدعمَ الماديَّ والمعنوي لها.... وقدْ بذلَ جهداً كبيراً حتى استطاعَ اقناعَ المسؤولين لمقابلةِ الرئيسِ، فلما دخلَ عليهِ قالَ:

«زادتْ فرنسا منْ قبْضتِها على ارضِ الجزائرْ... الجزائر بلدٌ عربيٌ شقيقٌ مصر تدين بالدينِ الاسلاميِّ، تاريخنا واحدٌ ومستقبلنا واحد وأنتمْ،كانَ الاستعمارُ الانجليزيُّ في أرضكمْ وتحررتمْ منه ونحنُ نريدُ نيلَ الحريةِ والاستقلالِ مثلكمْ، ولكنَّ فرنسا تدّعي أنَّ الجزائرَ أرضها وانها ليستْ مستعمرةً لها، وقد ناضلنا وضحينا وما زلنا على استعدادٍ لمتابعةِ مسيرةِ النضالِ، الرجالُ كثيرونَ والنساءُ كثيراتٌ، ولكنَّ المطلوبَ مزيد من السلاحِ والعتادِ».

اقتنع الرئيسُ المصريُّ بما قالهُ هذا الشابُّ الجزائريُّ، آمنَ بهِ وبثورته، آمنَ بهِ وبصدقهِ وايمانهِ واخلاصهِ. وحملتْ أولى السفنِ شحنةً كبيرةً منَ السلاحِ والذخيرة لثوار الجزائر وطارتْ الاخبارُ تحملُ سرَّ هذهِ الشحنةِ. وتكتّمَ المسؤولونَ عليها، ونزلتْ في احدِ الموانىء الجزائريةِ*

ـ لا احدَ يعلمُ بالأمر... قلةٌ منَ الرجالِ المسؤولينَ فقطْ تُعدُّ على أصابعِ اليد هيَ التي تعرفُ..

ـ والعمالُ؟ وقبطانُ السفينةِ وملاحوها؟.

ـ لا احدَ يعرفُ.. انهمْ يعرفونَ انها سفينةٌ تنقلُ موادَّ غذائيةَ ومعلباتٍ للتجارِ الفرنسيينَ.

ـ ومتى نستلمُ الاسلحةَ؟.

ـ قريباً.. قريباً جداً.. خذي الانَ هذهِ الرسالةَ الى الزميل «علي لابوانت» وانتظري الردَّ.. فهوَ سيخبرنا بالموعدِ.

حملتْ جيلةُ بوحيرد رسالةَ قائدها «ياسف سعدي»، وهرعتْ الى مكانِ القائدِ «علي لابوانت» تسألهُ عنْ موعدِ استلامِ شحنةِ السلاحِ الذي ارسلهُ القائدُ «أحمد بن بللا» من رئيسِ جمهوريةِ مصر العربية «جمال عبد الناصر».

● كانت الاسلحة تهرب ايضا الى الجزائر عن طريق البر اي عن طريق الحدود مع ليبيا..

واعادتْ جميلةُ الرسالةَ تحملُ لقائدها موعدَ نقلِ الاسلحة.. وقررَ القائدُ خطةَ نقلِ السلاحِ، ووزعَ الادوارَ على الرجالِ والنساءِ وابتدأ المشوارُ الصعبُ!!

القائد جمال عبدالناصر زعيم مصر، يقابل القائد احمد بن بلا ويزود ثورة الجزائر بالسلاح

في صباح ١٩٥٧/٤/٢٦ حملتْ ثلاثةٌ منَ النساءِ «فُرُشاً» منَ القشِ على رؤوسهنَّ يمتلئنَ بالخبزِ الطازجِ .. كنَّ كباقي نساءِ الجزائرِ يلبسنَ العباءةَ السوداءَ الطويلةَ ويغطينَ رؤسهنَّ ووجوهنَّ بالمناديلِ السوداءِ .. وفي ذلكَ النهار حملَ سبعةٌ من الرجالِ الجزائريين بأيديهم سلالاً من القشِ ملأوها بالبقدونسِ والخيارِ والبندورة وسارَ الجميعُ بينَ مشاةِ حي القصبةِ ككلِ رجالِ ونساءِ الجزائر.. مشوا

الثوار وجميلة يحملون السلاح الى المخابيء

متباعِدينَ بينَ الواحدِ والآخر خمسة أمتارٍ على أقلِ تعديل. . . ووقفَ لهمْ الحراسُ في مفارقِ الطرقِ يعطونهم الاشارةَ بمواصلةِ السيرِ أو التوقفِ. . . تدربوا على المشوارِ عشراتِ المراتِ. . فكلُ قطعةِ سلاحٍ سيحملها أحدهمْ تعني الكثيرَ الكثيرَ للثورةِ وللثوّارِ. . وهم وغيرهمْ قد نقلوا شحناتِ السلاحِ المرسلةِ من مصرَ الى انحاءَ متفرقةٍ منَ الجزائرِ، وهذهِ هيَ احدى الكمياتِ المرسلةِ الى ثوارِ حي القصبةِ. .

وقفتْ عيونُ الحراسِ على مفارقِ الطرقِ تعطي الاشارةَ للرجالِ والنساءِ. . وارتفعتْ يدٌ تحملُ حقيبةً خضراءَ صغيرة فمرَّ الثوارُ واحداً بعدَ الأخر بهدوءٍ وروية. . كانَ منعطفُ طريقٍ يلتقي به طريقٍ آخر. وكانتْ نقطةُ مراقبةٍ حساسةٍ لكثافةِ مرورِ فرقِ التفتيشِ الفرنسيةِ. . وكانتْ جميلةُ بوحيرد تلبسُ العباءةَ وتحملُ «طبقَ الخبزِ» وتواصلُ سيرها الهادىء وقدْ قطعتْ عدةَ نقاطِ مراقبةٍ، ولكنها وما انْ اقتربتْ من هذا المنعطفِ حتى وجدتْ حقيبةً حمراءَ تحملها صاحبتها وتحركها بعصبيةٍ وبسرعةٍ. . واضطربتْ جميلةُ واضطربَ آخرون. . اما منْ كانَ امامَ جميلة فلقدْ واصلَ سيرهُ الطبيعي دونَ انْ يلحظَ شيئاً. . واما منْ كانَ خلفها فسرعانَ ما دخلَ احدَ البيوتِ القريبةِ من الشارعِ رأساً. . واما جميلةَ فلمْ تستطعْ التحركْ. . فلقد وقعتْ في الفخِ حالاً. حيثُ طوقتها قواتُ الشرطة الفرنسيةِ وطلبتْ منها الوقوفَ للتفتيشِ!!

كانتِ القواتُ الفرنسيةُ توقفُ الجزائريينَ في ايِّ زمانٍ ومكانٍ تريدُ. . كانتْ تشكُ في كلِّ جزائريٍ وجزائرية، صغيراً كانَ او كبيراً فكلهمْ اعداءَ وكلهمْ ثوار، أعضاءٌ في جبهةِ التحريرِ الجزائري. .

واسقطَ في يدِ جميلة وقدْ طوقتها الشرطةُ. . واندفعتْ تبتعدُ في الاتجاهِ المعاكسِ، فاطلقوا عليها الرصاصَ فارتمتْ ارضاً. .

منَ القفصِ الصدريِّ وفي الظهرِ، دخلتِ الرصاصةُ تمزقُ الانسجةَ الصدرية واندفعتْ لتخرجَ منْ ثدي جميلة الأيسر وتحدث فيهِ ثقباً كبيراً ونزيفاً قوياً. .

انكبَّ رجالُ الشرطةِ على المرأةِ الطريح. . فتشوا طبقَ القشِ فتشوا جيوبها. . فاذا بهم يجدونَ السلاحَ ورسالةً مطويةً بعنايةٍ فائقةٍ. . رسالةً منْ «علي لابوانت» الى «سعدي ياسف»!!

أيُّ صيد ثمينٍ عثرت عليهِ الشرطةُ في ذلكَ النهارِ. . . اي سعادةٍ وفرحٍ كبيرين تملكهما وهمْ يرونَ فتاةً في العشرينَ منْ عمرها تحملُ رسالةً من وإلى اكبرِ رأسينِ «تطلبهما القواتُ الفرنسيةُ بالحاحٍ. .؟! لمْ يبقَ اذنْ على القبضِ على الرأسينِ القائدينِ الا دقائقَ أو ساعاتٍ، فالفتاةُ الشابةُ ستخبرهمْ بكلِّ ما يريدونْ!!.

في ذلكَ النهار حملَ الرجالُ جميلة بوحيرد الى المستشفى حالاً. وضعوها بكلِ عنايةٍ على حمالةِ الاسعافِ، ثمَّ الى غرفةِ العملياتِ الجراحية وانتظروها بفارغِ الصبرِ. .

اخاطَ الاطباءُ جرح ثديها الايسر، وضمدوا جراحها المختلفةِ، ثم دفعوا بعربتها الى غرفةِ المستشفى للنقاهة. . . فتلقفها رجالُ الشرطةِ المنتظرونَ. .!!

«لاكوستْ» في مكتبِهِ . . قائدُ القواتِ الفرنسيةِ «روبير لاكوستْ» في مكتبِهِ في مدينةِ الجزائرِ . .
لاكوستْ القائدُ، قد عُيِّنَ حديثا في مركزه، وصلت له الرسالةَ الهاتفية . . . فتاةُ في العشرينَ تحمل رسالةً

جميلة بوحيرد ملقاة على الارض برصاص الجنود الفرنسيين

منْ احد القادةِ الجزائريين الى زميلِهِ. . . منْ عليٍ لابوانتْ الى ياسف سعديٍ . . يا للصيد الثمينْ، ويا للفرصةِ الرائعةِ.

وانطلق لاكوستْ بنفسِهِ الى المستشفى ليرى الفتاةَ «الصيد» ليسمع منها شخصيا مكان القادةِ الثوار. . ليكونَ اولَ من يقبض عليْهم لم يكنْ الطبيبُ قد فرغَ منْ غسل يديه عندما اضطربَ الوضع رأساً على عقب. . امتلأ المستشفى بالجنود والحراسِ، واندفعَ «لاكوستْ» يحيط به جنودٌ يلبسونَ الطاقياتِ الحمرِ. . انهم الجنودُ المظليون!

«لا داعي للقلقِ فالبنتُ صغيرةٌ وسرعانَ ما ستستجيبُ لاسئلتنا».

حركت جميلةُ رأسها على الفراشِ، فهبَّ لاكوستْ من مكانِهِ. . فتحتْ عينيها ثم اغمضتهما، فاندفع لاكوست يسألها:

- اين مقرُّ علي لابوانت؟

ولْم تجبْ جميلة. .

- اينَ مقرُّ سعدي ياسفْ؟

. . . .

- كنت تحملين رسالةً من علي لسعدي. . وكنتِ تحملينَ ثلاثَ بنادقَ وعشرَ قنابل، فاينَ مقرُّ القادة؟ واين مخابيءُ الاسلحةِ؟

. . . .

ولم تجبْ جميلَة. . اشاحتْ بوجهها الى الجهةِ الأخرى. .

- لعلها لا تزالُ تحتَ تأثيرِ البنجِ. .

- حتى لوْ . . . فالوقتُ ثمين ويجبُ الحصولُ على المعلوماتِ منها حالاً. .

ولكنَّ جميلةَ ظلت صامته. . زال البنج. . . وصحت الفتاةُ ولكنها ظلتْ صامته لا تنطقُ بحرفٍ. .

- قليلٌ منَ الضربِ وهيَ لا تزالُ ضعيفةً متألمةً قدْ يفيد. .

قال لاكوست ذلك، وأشار الى أحدِ الجنودِ المظليين. . .

قالَ احدُ رجالِ الشرطة:

- لعلها عندما تتحسنُ صحتها تجيبُ على اسئلتنا. .

قال لاكوستْ وهو يشيحُ بنظرهِ عنهُ ويتوجهُ بالكلامِ الى المظليين:

- بلْ نضرب «الحديدَ وهو حام» نضربُها وهيَ ضعيفة. .

وبدأتْ عملياتُ التعذيبِ حالاً. . . ونقلت جميلة منَ المستشفى الى السجنِ الحربيِّ في وهران وادخلوها الى الزنزانةِ رقمْ «تسعين». .

وكتبَ الشاعرُ: (١)

الاسمُ جميلةُ بوحيرد
رقمُ الزنزانةِ تسعونْ..

«الثوار». . . فمنْ هوَ سعدي وعلي واينَ يسكنان وماذا تفعلينَ معهم؟. .

ـ لا اعرفُ يا محمد. . لا اعرف احداً منهم. .

ـ تخفينَ عليَّ الحقيقةَ يا جميلة؟ حتى أنا؟ هل تتصورينَ أنني سأخبرهمْ بالحقيقةِ لوعرفتُ؟.

ـ لا يا محمد انا لا اخافُ منك. . بل أخافُ عليك. . انا لا اعرفُ احداً من هؤلاءِ. .

وبينما هما يتحدثان اذ بالبابِ يُفتحُ ويدخلُ منهُ احدُ رجالِ التعذيبِ، يحملُ سوطاً طويلا ويقول: .

ـ لماذا لا تخبرينه يا جميلة؟. . لماذا لا تريحينه وتريحيننا؟ متى ستعترفين بالحقيقة؟ أتعبتنا وأقلقتِ راحتنا. . . من رئيسِ الجمهوريةِ الفرنسيةِ الى اصغرِ فردٍ في فرنسا؛ من أكبرِ قائدٍ في جيشِ فرنسا الى اصغرِ جنديٍ فيه، ينتظرونَ نتائجَ التحقيقِ معكِ. . كلهم ينتظرونَ حديثكِ واعترافاتكِ. . فإلى متى ستنتظرُ؟؟.

وانهالَ عليها وعلى أخيها بالضربِ. . وتكومتْ جميلة فوق جسدِ اخيها الصغيرِ تحميهِ بجسدها من سياطِ الجلادِ. .

كم منَ الوقتِ مرَّ على الأخوين؟ كم مضى عليهما في زنزانتها؟. لا أحد يدري. . ولكنَّ سطلاً منَ الماءِ البَارِدِ صبَّ عليهما فجأةً، فاستفاقَ الاخوانَ مذعورينْ منزعجين. .

ـ زيارةٌ لكِ يا جميلة.

ـ منْ ؟ أمي. . أمي؟؟.

كانتْ جميلة بشوقٍ كبيرٍ لرؤية أمها. . كانتْ تتمنى لو تضع رأسها على صدر أمها لحظةً واحدة. . . ثانيةً واحدةً. كانت تريد فقط أن. . تستمد. . . من عينيها الصبرَ والحبَ والأمل. . فهل هي بالباب يا ترى؟!

لا. . ليست امك. . . بل محام فرنسي!!

ـ محامي؟؟ من وكلهُ؟ محامي فرنسي؟؟ لا اريدُ ان أرى أي محامٍ أو اي فرنسي. .

ـ عليكِ اطاعةُ الاوامرِ فقطْ. . .

﴿١٣﴾

في غرفةٍ كبيرةٍ تدخلها الشمسُ والنورُ والهواءُ كانَ المحامي «جاكْ فيرجيس» ينتظرُ وينتظر. . وطال انتظارهُ ولكنهُ فجأةً هبَّ منْ مقعدهِ وقدْ استولى عليه الرعبُ. . لقدْ رأى شبحاً يدخلُ الغرفةَ ويقتربُ منه. . رأى شبحَ انسانٍ قد حُلقَ شعرهُ على الصفر وامتلأ وجههُ بالكدماتِ الزرقاء والحمراء، رأى عيوناً فارقها البريقُ تتحركُ في المآقيِ دون توقف. . رأى جميلة بوحيرد ـ شبح انسان ـ تجرُ رجليها جراً وتحملُ يدها اليمنى بيدها واليسرى وقد انحنى ظهرُها وهزلتْ وبانَ عظمها. .!!

وقفَ المحامي جاك فيرجيس وهو لا يكادُ يصدقُ ناظريهِ وقال:

المحامي جاك فيرجيس، يدافع عن جميلة

- أنتِ جميلة بوحيرد؟

واشارتْ برأسها ان نعمْ.

وأمسكَ يدها واجلسها على الكرسيِّ امامهُ وقال:

- أنا المحامي جاكْ فيرجيس.. لقد طلبتْ مني والدتُكِ ان ادافعَ عنكِ.

وابعدتْ جميلة جاك فيرجيس عنها وهيَ تقول:

- محام فرنسي؟ لا أريدُ أن أرى فرنسياً بعدَ اليوم.. كلكمْ قتلة.. كلكم مجرمون.. لا أُريدُ ان يدافعَ عني أحد..

- اهدئي يا جميلة.. ثقي بي.. فانا معكِ حقاً، وسأدافعُ عنكِ حتى النهاية.. واولُ ما ساقومُ بهِ هو طلبُ طبيبةٍ لمعاينتك وفحصك ثمَّ كتابةُ تقريرٍ طبيٍّ عن حالتكِ.. فمنظركِ هذا يوحي بالخطرِ الكبير على صحتكِ..

هل تكونُ طبيبةٌ فرنسيةٌ ايضاً؟ هل يحتلُ ارضي فرنسيٌ ويقتلُ عمي فرنسيٌ ويعذبني فرنسيٌ ثمَّ يأتي محامٍ منهمْ ليدافعَ عني وطبيبةٌ منهم لتكشفَ عن صحتي؟؟

ـ فقط ثقي بي واطمأني لي يا جميلة.

﴿١٤﴾

في اليومِ التالي دخلت شابةٌ زنزانةَ جميلة، تلبسُ ملابس السجنِ وتحملُ حقيبة منِ القادمُ يا ترى؟ معتقلةٌ جديدة؟ استجوابٌ جديدٌ..؟ ام تعذيبٌ بشكلٍ اخر؟!

لكنَّ الفتاةَ لمْ تكنْ سوى الدكتورة «جانيين بلخُوجه».. دكتورة في الطبِ منْ جامعةِ الجزائرِ، سجينةٌ ايضاً ولكنْ طُلِبَ منها فحصُ جميلة واعطاءِ تقريرٍ طبيٍّ عنها..

وكشفتِ الطبيبةُ عنْ جسد جميلة النحيل.. وكادتْ تُصعق.. «جرحٌ فوق الثديِ الايسرِ طولهُ خمسُ سنتميتراتٍ وعرضهُ ثلاثة.. ينزفُ منهُ القيح.. جرحٌ على الكتفِ.. كسرٌ في الذراعِ الايسر من الكتفِ.. الاصابعُ في الكف الايسر لا تتحركْ.. والكفُ ازرقُ يميلُ الى اللونِ البنفسجي.. ارتجافٌ في اليدِ.. حروقٌ في الصدر.. حروق في الفخذينِ وبينَ الفخذينِ.. التهابٌ في مناطقَ اخرى!!

وكتبَ الشاعرُ:

الاسمُ جميلة بوحيرد
أجملُ اغنية في المغرب..
أطولُ نخلةٍ..
لمحتها واحاتُ المغرب..
أجملُ طفلةٍ.
اتعبتِ الشمسَ ولمْ تتعبْ..
يا ربُّ.. هل تحتَ الكوكب؟
يوجدُ انسان
يرضى ان يأكلَ.. ان يشرب
من لحمِ مجاهدةٍ تصلبُ؟
القيدُ يعضُ على القدمينِ
وسجائرُ تطفأ في النهدينِ
ودمٌ في الانفِ وفي الشفتينِ
وجراحُ جميلة بوحيرد
هي والتحريرُ على موعد.

وقدمت الطبيبةُ جانين بلخوجه تقريرها الطبيَّ الى المحامي الفرنسيِ فقالَ في سره:

ـ عظيمٌ.. عظيمٌ.. من هنا نبدأ..

ولكنَّ مفاجأةً كبيرةً كانتْ تنتظرُ المحامي وجميلة ووالدةُ جميلة.. مفاجأةً لَمْ تكنْ في الخاطرِ او في الحسبانِ.

﴿١٥﴾

استيقظَتْ جميلة يوماً فجأةً لترىَ قُربَها وعلى ارض زنزانَتِها جسدَ فتاةٍ متكومَة لا تتحرك.. جسد فتاةٍ تعرفها ولكنها لَمْ ترَها منذُ دخولِها السجنْ.. جسد فتاةٍ مَليء بالكدماتِ والضرباتِ.. إنَّها.. إنها صديقَتها جميلة بوعزة..

أيُ حادثةٍ دفعت بجميلة بوعزة لدخولِ السجنِ.. منْ القى القبضَ عليها؟ وما هي تهمتُها كيف اعتقلوها يا ترى؟ هل عذبوها كثيراً؟ هل عَرَفوا انها صديقَتَها؟ لماذا أحْضَروها الى هذا السجنِ والى هذه الزنزانة؟ ماذا يخبيء لنا القدرُ يا ترى؟؟

ساعاتٌ وجميلة بوحيرد تراقبُ صديقتها وهي نائمةٌ او مُغْمَى عليها.. عشراتُ الاسئلةِ والاجوبةِ جالت في ذهنِ جميلة.. لم تكنْ قد رأتْ أحداً من اقاربِها أو اصدقائها منذ اسابيعٍ طويلة.. فهل ستحدِّثُها جميلة عن الجزائرِ والثوارِ والاهلِ والاصدقاء؟؟

ـ ما الذي جاء بكِ الى هنا؟

ـ اعتقلوني.. اشتبهوا بي كنتُ في عملي، في مكتبِ البريدِ فما رأيتُ الا وعشراتُ الجنود يحيطونَ بالبريد ويلقونَ القبضَ عليّ وعلى كثيرينَ غيري.. يبدو انهمْ كانوا يشتبهونَ بي ويُراقبونني منذُ مدةٍ لا بد أنهُمْ عرفوا صداقَتي بكِ ولكن المشكلةَ أنَّهُ كان في حقيبَتي بعضُ المتفجرات، لإرسالها إلى احدِ المراكزِ..

ووضعتْ جميلة بوحيرد يَدَها على فمِ صديقَتِها وهي تهمسُ قائلةً:

ـ هُسْ يا صديقَتي.. «فالحيطانُ لها آذان».

وما كادت جميلة بوحيرد تقول هذا حتى فُتحَ بابُ الزنزانةِ ليدْخلَ منها ثلاثةُ من رجالِ الشرطة اقتادوا جميلة بوعزة ولمْ يعودوا بها الا بعْد ساعاتٍ طويلة..

بعد هذه الساعات لم تعدْ «بوعزه» هذه هي التي تعرفها بوحيرد من قبل! ذلك انها وما ان دخلَتِ الزنزانةَ حتى أخذتْ تنظرُ بعينين غريبتين لكل ما حولَها.. كأنها لم تَعُدْ تعرفُ جميلة بوحيرد.. وازدادت حالتهـا مـع الايـام سوءاً.. أخذت ترمي طعامَها على جدرانِ الزنزانةِ ثم هاجمتِ السجانةَ وشدت لها شعرهَا.. وهاجمت جميلة بوحيرد وضربتها.. بعد ايام لَمْ يعد بالامكانِ ابقاءُ جميلة بوعزة في مكانها فلقدْ ملأتِ الزنزانةَ بولا وغائطاً ومزقتْ ملابسها وملابس صديقَتِها وفراشِها!!

بعد ثلاثةِ ايامٍ فقط كان على «جميلة بوعزه» ان تقفَ امام المحكمةِ العسكريةِ لالقاء شهادَتها عن

جميلة بوحيرد وعن علاقتها سوياً . . بعد ثلاثةِ ايام فقطْ كان على بوعزه ان تقول ما تعرف عن بوحيردْ . . لقد اعترفتْ امام محاميها انها صديقةُ بوحيرد وسوفَ تعترِف امامَ القضاة عنها . . فهل ستعترف حقاً؟؟ هل ستضعُ الحبلَ على عنقِ بوحيردْ؟ لماذا لم تستطعْ ان تحفظَ السرّ كما حفظتهُ بوحيردْ؟

اصابَ جميلة بوحيرد ومحاميها قلقٌ كبيرٌ مما حلَ بجميلة بوعزة . . لقد ظلتْ بوحيرد تَنفي علاقتها بالثوارِ، وظلتْ تَتهمُ الجنودَ الفرنسيين جريمةَ تعذيبها اللاانساني، ولكن بوعزة لم تَتحمل التعذيبَ، ففقدت عَقلها واصبحتْ تعلن ان صديقَتها هي التي جرّتْها لوضع المتفجرات وقتلِ الفرنسيين . . فكيف

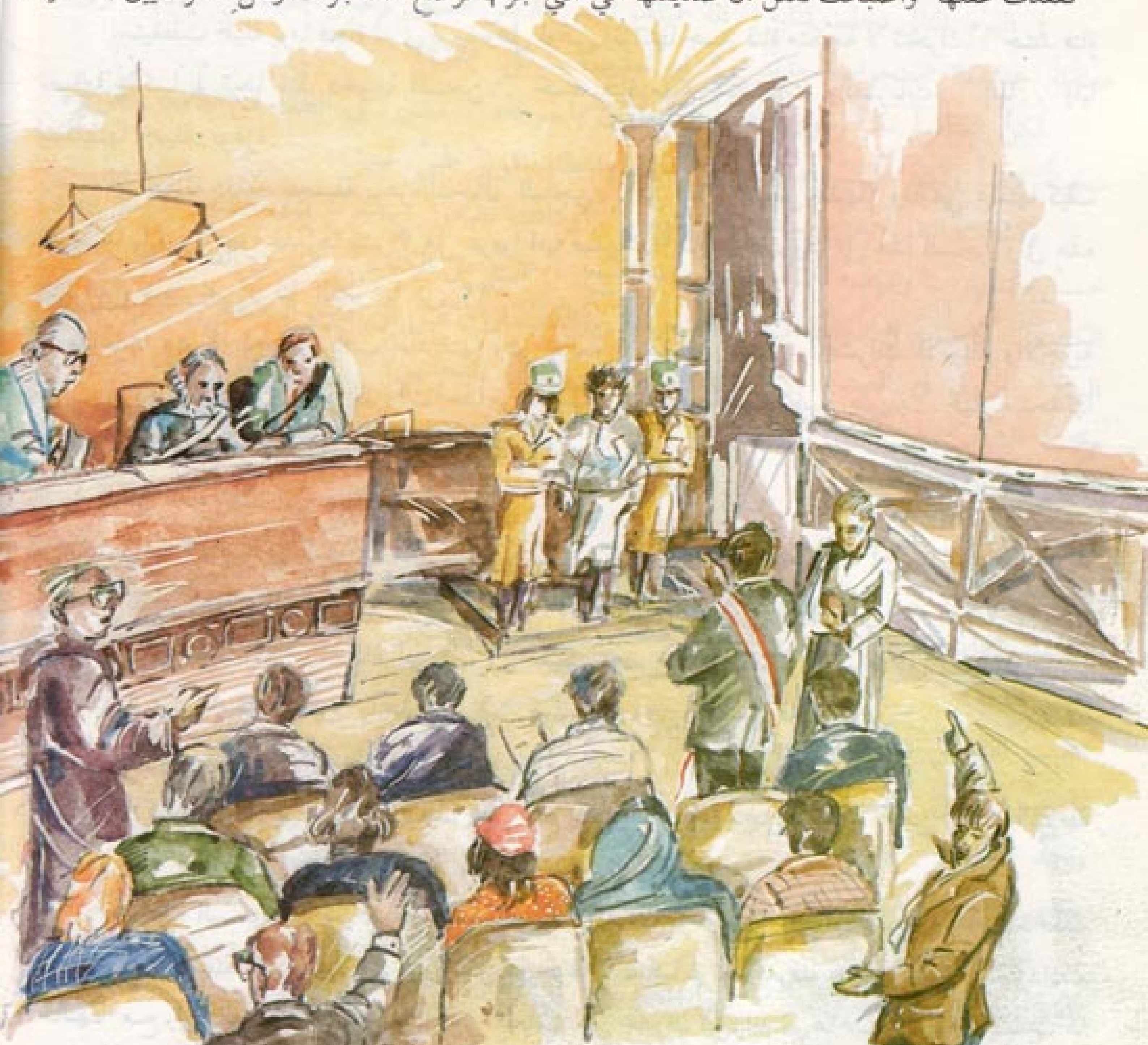

محاكمة السجينة المناضلة جميلة بوحيرد وشهادة الطبيبة جانين بلخوجه

ستكوُن المحاكَمة وكيف ستكوُن الايامُ القادمةُ يا ترى؟ لقد اقتربت ساعةُ الصفر واقتربَ حبلُ المشنقةِ من رقبتِي الفتاتين فهل تعدمان؟؟

﴿١٦﴾

محكمة..

ودخل القاعةَ القاضي والمحامون والكتبة..

محكمة..

ودخلَ القاعةَ محامي الدفاعَ «جاك فيرجيس» يُمسكُ بيده شبحَ امرأةٍ قد هُزلتْ حتى بان عظمها، وامسكتْ يدَها اليمنى بيدِها اليسرى تَحملُها لكِسْرِها من الكتفِ.. امرأةٌ بلا شعرٍ، تجر رجلَيْها جراً وتنظرُ بعينينِ زائغتينِ في وجوه الحضور..

وارتفع صوتٌ في القاعة يعلنُ:

- الموت للمجرمةِ.. الموت للقاتلةِ.

وضرب القاضي على الطاولة ثلاثَ دقات طلباً للهدوء ثم قال:

- المتهمة جميلة بوحيرد.. انت متهمةٌ بالقتل، قتلِ الجنودِ الفرنسيين في المقاهي الثلاث «ميلك بار، الكافتيريا، والكوُك هاردي».. وانتِ متهمة بالتسترِ على رأسي الاجرام ياسف سعدي وعلي لابوانت»..

وبصوتٍ لا يكادُ يخرجُ من الصدرِ والحنجرةِ قالت جميلة:

- وانتُمْ متهمون بتعذيبي حتى الموت.. أنا اسيرةٌ تقاذفني جنودكُمْ كالكرةِ بينَ ارجُلِهمْ.

وارتفع صوتٌ اخر من النظارةِ يلكن باللغةِ الفرنسية:

- الموت للقاتِلةِ.. الموت للارهابيةِ.. الموت للمجرمةِ..

وضربَ القاضي الطاولةَ بمطرقتِهِ طلباً للهدوء واستدعى الشاهدَ الاول: جميله بوعزة..

ودَخلَتْ جميلة بوعزه وانشَدتْ عيوُن المتفرجينَ إليها.. وحدقَتْ بوحيرد بها لا تدري ماذا أصابَها..

لقد كانَ منظرُها مرعباً.. سجانتان تُجرانها جراً من يديها.. وشعرُها المنكوش يملأ وجهَها وملابِسها ممزقةٌ ومتسِخةٌ.. وكانتْ تصيحُ بهمهماتٍ غريبة..

سأل القاضي:

- قلتِ باعترافاتِكِ انَّ هذه الفتاةُ اعطْتكِ المتفجراتِ لتضعاها معاً في مقهى «الميلك بار» فهلْ هذا صحيح؟

- نعمْ.. صحيحْ.. هي التي أعْطتْني ذلك..

وسرت همهمةٌ بينَ الحضور.

- نعم جميلة بوحيرد اعطتني القنابلَ.. وخطيبي كذلك.. خطيبي اعطاني المتفجراتِ وجلسنا سوياً انا وهو

نحتسي القهوةَ ونضعَ المتفجرات تحت الكراسي.. هكذا..

واخذتْ جميلة بوعزه تنتقلُ من كرسيٍ الى كرسيٍ تضعُ تحتَهُ امراً ما.. وضجتِ القاعَةُ بالضحكِ بينما ارتفعَ صوتُ احَدِهِمْ: الموتُ للمجرمتينَ.. بينما اخذَ القاضي يطرقُ بمطرقَته على الطاولة ويطلبُ من جميلة بوعزه العودَة الى منصةِ الشهادةِ.. ولكنها لم تعدْ للمنصةِ بلْ اتجهَتْ إلى القاضي تطلقُ عليه باصابعِ يديها الرصاصَ وتقول:

ـ هكذا اطلقنا عليكمْ الرصاص تكْ تاكْ.. تكْ تاكْ..

المناضلة جميلة بوعزه في المحكمة هل كانت مجنونة حقا ام ممثلة قديرة؟!

عادَ الجمهورُ للضحكِ، والهمهمةِ وهمْ لا يدرونَ أهُمْ امامَ ممثلةٍ ام مجنونةٍ؟صادقةٍ. ام كاذبةٍ؟

كانت جميلة بوحيرد اكثرَ المستمعينَ دهشةً وحيرةً، هل تمثّلُ صديقتَها دور المجنونَ ام هي مجنونةٌ حقاً؟. لقد اعترفَتْ انّها اعطتْها المتفجرات ثمّ الصقتْ التهمةَ بخطيبها.. بماذا ترمي من ذلكْ؟ ما الذي جرى لها؟

بعدَ تداولٍ بين القضاةِ.. ارتفعَ صوتُ القاضي يقول:

- تحذف شهادةُ الشاهدةِ «جميلة بوعزة» لاصابتها بلوثةٍ عقليةٍ اكدّتها تصرفاتُها المشينة امام المحكمةِ الموقرةِ.

ثم اضاف:

- الشاهدُ الثاني: الدكتورةُ جانين بلخوجه..

قدَّمتِ الدكتورة جانين بلخوجه تقريرَها الطبي.. وقدمَ محامي الدفاع «جاك بيرجيس» مرافعتَهُ القضائيةَ وجرتْ مداولاتٌ مطولةٌ بين القضاةِ الفرنسيين.. كانت المحاكمُ الفرنسيةُ قدْ حكمتْ في نفس ذلك اليوم على ثلاثِ فتياتٍ اخريات بالسجنِ الانفراديِّ لمدةِ خمسِ سنواتٍ لأنهنَ تركنَ العملَ في المستشفياتِ الفرنسيةِ والتحقْنَ بجبهةِ التحريرِ الجزائري لتمريضِ الثوار. وكانتْ فتياتٌ اخرياتٌ قد استشهدنَ على يدِ الجنود الفرنسيين وهُنَّ يدافعنَ عنْ عروبةِ واسلامِ وحريةِ الجزائر.. وكانت فتياتٌ اخرياتٌ قدْ اعتقلْنَ في سجونِ العدو تمهيداً لمحاكمتِهن كجميلة لاتهامِهنّ بالإنضمامِ لجبهةِ التحريرِ الجزائري، فهل ستحاكَمُ كلُّ النساءُ الجزائريات لأنهُنّ يردنَ تحريرَ بلدهِنَ ولأنهن ينجبْنَ الثوار؟ هل ستعاقب جميلة ورفيقاتها وبناتُ وطنها لأنهُنَّ يردن استقلال الجزائر من فرنسا التي تَدَّعي أنَّ الجزائرَ هو قطعةٌ من ارضِ فرنسا؟؟ وهل مائةٌ وثلاثونَ عاماً من الاحتلالِ يعني الاستسلامَ لحكمِ المعتدي؟

قال القاضي:

- حكَمتِ المحكمةُ على الفتاةِ جميلة بوحيرد بالاعدامِ شنقاً.

وبدأتِ الأصواتُ تتعالى بينما انطلقتْ ضحكات جميلة بوحيرد تملأ القاعةِ باستهزاء وتقول:

أيها السادةُ كنتُ أعلمُ أنكمْ سوفَ تحكمونَ عليَّ بالإعدامِ. لان الذينَ تخدمونهمْ متعطشونَ للدمْ.

صاح رئيس المحكمة:

- سيتمُ اعدامك يومَ الجمعةِ ٧ آذارَ ١٩٥٨ شنقاً في الساحةِ العامةِ في مدينةِ الجزائر. تُرفعُ الجلسة..